

الرسالة

مجلة أسبوعية للدراسات والبحوث في العلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الوزارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ - عابدين - القاهرة
تليفون رقم ٤٣٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ١٥ ملها

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٥٨٥ « القاهرة في يوم الإثنين أول شوال سنة ١٣٦٣ - الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الحروف اللاتينية

للأستاذ عباس محمود العقاد

علم القراء أن صاحب المعالي الأستاذ العلامة عبد العزيز فهمي باشا قد اقترح على مجمع فؤاد الأول للغة العربية اقتباس الحروف اللاتينية وبمض الحروف المشابهة لها لتيسير الكتابة العربية

وقد خالفه كثيرون ، وعاود معاليه الكرة للرد على هؤلاء المخالفين ، ومنهم كاتب هذه السطور

وكنيت قد خالفت رأي معاليه لأن اقتراحه يترك الصعوبة الأصلية قائمة وبمعنى بالصعوبة المتفرعة عليها ، وهي تابعة لها باقية ببقائها

فلا صعوبة عندنا في كتابة حرف من الحروف مضموماً كان أو مفتوحاً أو مكسوراً إذا عرفنا أنه مضموم أو مفتوح أو مكسور ، ولا صعوبة كذلك في قراءته مع هذه المعرفة سواء أكان مشكولاً أم غير مشكول

إنما الصعوبة الأصلية أن نعرف ما يضم وما يفتح وما يكسر ، ثم نكتبه ونقرأه على صواب

وترجع هذه الصعوبة إلى خواص في بنية اللغة العربية لا وجود لها في اللغات التي تكتب بالحروف اللاتينية ، غربية كانت أو شرقية

الفهرس

صفحة

- ٧٦١ الحروف اللاتينية ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
- ٧٦٤ حرية الفكر أيضاً ... : الأستاذ دريني خنية ...
- ٧٦٦ في عالم القصة ... : الأستاذ سيد قطب ...
- ٧٧٠ « داعي الدعوة » مناظر { الدكتور محمد كامل حسين ...
- المرى ...
- ٧٧٢ القضايا الكبرى في الإسلام : { الأستاذ عبد المتعال الصميدي ...
- فداف عاتقة ...
- ٧٧٥ ابن قزمان ... : الأستاذ أحمد مدينة ...
- ٧٧٧ بعد عامين ... [تصبئة] : الأستاذ عزيز أباطة بك ...
- ٧٧٩ إلى الأستاذ محمد أحمد الدراوي { الأستاذ إبراهيم زكي الدين ...
- بدوي ...
- ٧٨٠ حول الحب عند المتنبي ... : الأستاذ داود حمدان ...

ومن هذه الخواص الفعل الثلاثي واختلاف أبوابه وارتباط ذلك بالصادر والمشتقات ، ولا وجود لهذا الفعل الثلاثي في غير اللغات السامية ، وعلى رأسها لغتنا العربية

ومنها الإعراب ، وهو على وجود القليل منه في لغات نادرة ، قد اقتصرت اللغة العربية بأحكام مستفيضة فيه ، لا نظير لها في جميع اللغات

ومنها أن حروف الحركة في بعض اللغات الشرقية التي تكتب الآن بالحروف اللاتينية قلما تفيد معنى من المعاني غير إشباع الحركة أو خطفها والإسراع فيها ، واسكنها في اللغة العربية تبدل معنى الكلمة أو تبدل قوة المعنى

فقراءة العربية قراءة مضبوطة لا تتأني بغير تصحيح العلم بهذه القواعد قبل كتابتها وقراءتها ، وسبيل ذلك أن تختصر القواعد النحوية والصرفية حتى يحيط أوساط الناس بالقدر الكافي منها لمقاربة الصواب جهد المستطاع

ونقول مقاربة الصواب لأن العصمة من الخطأ لن تيسر في اللغة العربية ولا في غيرها من اللغات ، ولن تيسر أبداً في عمل يتناوله جميع الناس من خاصة وعامة

أما الكتابة بالحروف اللاتينية فبن صحت أنها تضمن للقارى أن يقرأ ما أمامه على صورة واحدة فهي لا تمنع الكتاب المختلفين أن يكتبوا الكلمة على صور مختلفة كلها خطأ وخروج على القواعد اللغوية ، ومن هنا يشيع التبليل في الألسنة ويتقرر الخطأ بتسجيله في الكتابة والطباعة بدلاً من تركه محتملاً للقراءة على الوجه الصحيح . ولا شك أن الخطأ في النطق أهون ضرراً من الخطأ المكتوب أو المطبوع ، لأن كتابة الخطأ تبق خطأ النطق وتزيد عليه أنها تسجله وتغال من عسى أن يهتدى إلى الصواب

فقصارى ما نفعه بهذا التبديل ، أننا ننقل التبعة من القارى إلى الكاتب ولا تمنع الخطأ ولا مضمن الصحة ، وهي فائدة لا يبلغ من شأنها أن تبدل معالم اللغة وتفصل ما بين قديها وحديثها

وكان من أسباب مخالفتي لاقتراح الأستاذ العلامة — وهي كثيرة — أن طريقتي ليست بأيسر من طريقتنا التي تجري

عليها الآن في كتابة الكلمات العربية مضبوطة بعلامات الشكل المصطلح عليها ، في موضع الحاجة إليها

لأن الطريقة اللاتينية المضاف إليها بعض الحروف العربية تمفينا من علامات الشكل ، واسكنها تضطرنا إلى زيادة الحروف حتى تبلغ ضعفها أو أكثر من ضعفها في كلمات كثيرة ، وتوجب هذه الكلفة على العارفين وهم غنيون عنها .

ثم هي لا تمفينا بته عن النقط والشكل ، لأنها تعود بنا إلى النقط في حروف ، وإلى ما يشبه الشكل في بعض الحروف لتمييز الآلف والثاء والذال والشين

على أن الأمم الأصيلة في الكتابة اللاتينية لا تستغنى بالرسم عن ضبط السماع

فاللغة الإنجليزية التي أستطيع الإتيان بالشواهد منها حافلة بالكلمات التي يختلف نطقها ورسمها ، والتي تنطق على وجه وتكتب على وجوه ، كما أنها حافلة بالشواذ في صيغة الماضي والفعول ومشتقات أخرى

ومن أمثلة الصعوبات في الرسم أنهم ينطقون هذه الكلمات نطقاً واحداً وهي مختلفة في الكتابة والمعنى والاشتقاق ، وهي Rite و Right و write وأنهم يكتبون حروف الحركة أحياناً على نمط واحد ويخالفون بين النطق بها في درجة المد وفي مخارج الصوت ، كما يفعلون على سبيل التمثيل في sour و loud و soup أو في great و breadth و speak أو في done و bone أو في door و moon و good

ومن حروف الإنجليزية ما يكتب ولا ينطق به مثل الباء في climb والكاف في knot ومنها ما يهمل حيناً وينطق حيناً بخلاف حرفه مثل daughter و laughter

إلى غير ذلك مما تدل عليه هذه الأمثلة ولا تحصى ، ويكفي أن نرجع إلى المعجمات التي وضعت لأهل اللغة أنفسهم انهم لا يستغنون عن اتباع كل كلمة بما يضبط نطقها ودرجة امتداد الحركات فيها وموقع النبرة في مقاطعها

وقد رأينا أن نكتفي في مناقشة اقتراح اللاتينية بالاقوى والأظهر من الأسباب دون أن نذهب فيها إلى الاستقصاء

فإذا قال قائل إن الرسم الحاضر أيسر من جميع هذه المقترحات ، لأنه في الواقع أيسر منها . فالألمحة لا تفرض عليه أن يخالف الحقيقة ويقول : بل هي جميعاً أيسر من الرسم الذي نجري عليه .

ولكل لغة صعوباتها التي لا يتساوى الناس في تذليلها ولو زالت صعوبات الرسم والكتابة جماعاً

فلا بد من فارق في اللغة بين المتعلم وغير المتعلم وبين اللوهور وغير اللوهور وبين صاحب السليقة والدخيل عليها

وليست لغتنا العربية بدءاً بين اللغات في هذه الخاصة الغامة . . . فهما نصنع في تفسير رسمها أو قواعدها فلن نسوى بين الناس في كتابتها وقراءتها ، ولن نغني الكاتب أو القارئ عن الزيد من الاستيفاء كلما ارتفع درجة أو درجات في مراتب الفهم والشعور والتعبير

ولهذا ينبغي أن نيسر كتابتها بتيسير معرفتها وتيسير فهمها مع التسليم طوعاً أو كرهاً بأن هذا التيسير لن يدفع كل عمر ، ولن يزيل كل لبس ، ولن يعصم من الخطأ كل المعصمة ، ولن يزال الباب بعده مفتوحاً للتفاوت بين قدرة الناس على الصواب واستعدادهم للخطأ من جهل أو سهو أو قصور

وإذا قيل أى العالجين أدنى إلى تيسير الكتابة ؟ فلا شك أن العلم التقريبي بالقواعد التي تقيم النطق خير من الرسم الذي يقرأ على صورة واحدة مع بقاء صور متعددة للكلمة تختلف باختلاف حفظ الكتاب من قواعد الصرف والنحو والإملاء والهجاء ، وهذا إن صح أن الحروف اللاتينية تضمن القراءة على صورة واحدة وهو غير صحيح ، لأن جرس الحروف اللاتينية يخالف جرس الحروف العربية في المخارج والحركات وتوقيت الكلمة في أمثاء نطقها ، وهو شيء في صميم اللغة كالمعنى ورسم الكتابة على السواء

وأسلم ما يقال في هذا الباب إن الطريقة القائمة لا تزال أسهل وأقرب إلى بنية اللغة من كل مقترح علمنا به ، ولا مانع من جديد يستدرك ما عثر استدراكه إلى الآن .

عباس محمود العقاد

والاستيعاب ، وإلا فالأسباب التي تحول دون رسم العربية بالحروف اللاتينية أكثر من هذا الذي أجهلناه بكثير

وتناول معالي المقترح اعتراضنا فقال بعد تلخيصه : « إنه على كل حال اعتراف خارج عن الموضوع . وما أشبهنا ، إزاءه ، بالباحثين عن طرفي الحلقة المفرغة تقوم الساعة علينا قبل أن نهتدى إلى المطلوب ! إن مسألة البحث في أصول اللغة وتيسير قواعد نحوها وصرفها تلك التي يقول المعترضون إنها هي العلاج الشافي لأدواء العربية هي مسألة أخرى قائمة بذاتها ، وهي مطروحة فعلاً على المجمع اللغوي يردد مداخلاً ومخارجاً ، ويحاول ما وسعت قدرته تمهيد ما يقبل منها التمهيد »

ثم قال معاليه إن لألمحة المجمع تجب اعتراضنا ، ورد معاليه عليه لأن : « نصها صريح في أن عليه البحث في تيسير رسم الكتابة العربية ، ووزير المعارف عهد إليه بهذه المهمة بقرار منه خاص ، وهو مكلف نظامياً بتنفيذ قرارات الوزير »

وعندنا أن رد معاليه على هذا الاعتراض هو أشبه شيء بالدفع القضائية منه بالدفع المنطقية

فالحق أن تيسير القواعد اللغوية مسألة غير مسألة الرسم وكتابة الحروف ، ولكن اختلافهما لا يمنع العلاقة الوثيقة بينهما ولا يخرجهما عن حكم القضيتين اللتين لا تنظر إحداهما بمعزل عن الأخرى

وكذلك على المجمع بموجب تكوينه أن يبحث في تيسير رسم الكتابة كما عهد إليه

ولكن هذا الوجوب لن يوجب عليه أن يرحب بكل تغيير أو يدين بأن التغيير أسهل من الطريقة التي نحن عليها الآن فتيسير الرسم العربي واجب لا شك فيه ، ورفض الرسم اللاتيني كذلك واجب لا شك فيه للأسباب التي قدمناها ، وأولها أنه يبذل معالمنا دون أن يخرجنا من تلك الصعوبة التي تدعونا إلى التبديل

وقد نظر المجمع في عشرات من المقترحات التي تقدم بها أعضاؤه أو تلقاها من الفضلاء المجتهدين في حل هذه المعضلة المعيرة

حرية الفكر أيضاً . . .

للأستاذ دريني خشبة

ينصب بعض السادة الكتاب من أنفسهم أبطالا للدفاع عن حرية الفكر ، وبعد بعضهم أنفسهم شهداء لهذه الحرية المكبوتة في زعمهم ، المضييق عليها تضييقاً يذهب صديقنا الدكتور زكي مبارك إلى أنه لم يسبق أن حدث مثله في الأمم الإسلامية قط

وندع الآن ما ذهب إليه الصديق الكريم من هذه الدعوى ، لنلتفت أنظار القراء إلى شيء ظريف جداً يصدر عن أولئك الأبطال الكرام ، عن قصد ظريف جداً كذلك

وليس هذا الشيء الظريف الذي نلتفت إليه أنظار القراء الآن شيئاً ظريفاً واحداً ، ولكنه أشياء ظريفة يأخذ بعضها برقاب بعض . فتسكون آخر الأمر موضوع هذا الشيء الظريف عندما تناولنا موضوع كتاب الأستاذ الرصافي . وقفنا منه إزاء كتاب يتناول ديننا كماه ، ومعتقداتنا جميعها ، فيتأولها تأويلاً لا يجوز إلا في عقل مدخول ... فإلهنا - في زعمه - هو هذا العالم الذي تعرف من العلم الحديث كيف نشأ ... ونبينا ، هو أول مبتدع لهذا الهراء ، كما إنه مؤلف القرآن وقائله . ونظرية وحدة الوجود تلك التي ابتدعها محمد مهدي أرقى ما وصات إليه الفلسفة الإسلامية ، والإيمان بها يناقض الإيمان بما جاء به الرسول الكريم من خلق الله لهذا العالم ، والدعوة إلى عبادته ودعائه والإخبارات له ، وما قال به من نشور وحساب وثواب وعقاب وجنة ونار ... ثم تساوى الخير والشر والضلال والهدى والنقي والفسوق والأبيض والأسود ... والسجود بين يدي الله والإكباب على الحليلة ... أمام الله كما يزعم الرصافي في رده علينا ... استناداً إلى زعم الجنيد ، أنه سبحانه ، هو الهادي وهو الضال ، وما دام الله كذلك فلا يكون ثمة معنى للحساب والثواب والعقاب والجنة والنار على نحو ما يؤمن بذلك المسلمون كافة ... ذلك الإيمان الساذج الفطري الذي لا يسيغه عقل ... لأن العقل لا يسيغ أنباء الغيب ولا يهضمها ...

ولما كان الرصافي - هداة الله - يذمى إلى المسلمين ، وقد

لنا هذا اللغو الذي كان يلغو به من قديم ، فقد وقفنا منه وقفنا التي يحتمها علينا ديننا ، لأن دعواه تقلب هذا الدين بجميع عقائده رأساً على عقب . . . وما ظنك بدعوى تنسخ العبادات نسخاً لا يجعل لها ضرورة ، لأنها لن تغير مما قضى الله من شيء ، ثم ما ظنك بدعوى تجعل الله ما كولا مشروباً منظوراً مشعوماً تدركه الحواس كلها . . . لأنه الوجود كله . . . ثم الرصافي يزعم أن هذا هو حقيقة الإسلام ، أما ما يؤمن به السذج البسطاء أمثالنا ، فهو ظاهر الإسلام ، وأورده الرسول الكريم على سبيل التمثيل ، ومن باب مخاطبة الناس على قدر عقولهم ، ثم أخفى عليهم تلك الحقيقة الخائبة فلم يطلع عليها إلا أبا بكر ، حتى جاء فلاسفة الإسلام الأعلام - الحلاج والجنيد وابن عربي والجيلاني والتلمساني وابن سبئين ومن لف لفهم ، فوقعوا عليها وكشفوا سرها وجلوها للعالمين

فلما نفينا أن يكون هذا إسلاماً ، وإسلاماً جاء به نخر الكائنات محمد بن عبد الله ، وأثبتنا للأستاذ الرصافي أن اليونانيين عرفوا وحدة الوجود قبل نبينا بألف سنة أو نحوها أو أكثر منها - وإن زعم هو أننا لم نأت بجديد - تفضل بعض مفكرينا المحبطين من غير المسلمين بالاشتراك في هذا الموضوع ، على أنه موضوع عام يحل لكل إنسان أن يشارك فيه برأى ... ولم يبالوا في سياق كلامهم أن يعلنوا على صفحات الرسالة أنهم لا يؤمنون إلا بالمادة ... أما ما وراء الطبيعة فلا شأن لهم به ... فرحبنا بمشاركتهم ، ولما آسفنا أنهم لم يفتنوا إلى أن الموضوع يبحث من وجهة نظر إسلامية خالصة ، نهيناهم إلى ذلك بأرق عبارات الذوق الذي دعا إليه الأنبياء يا صديق الدكتور زكي ... لكنهم كتبوا ما لحنا في ثناياه أنهم غاضبون أو شبه غاضبين ، فلم يشق علينا أن نعلن لهم أسفنا ، ولم نناقش الآراء التي أعلنوها لحرصنا على أن يظل الموضوع محصوراً في أفقه الإسلامي ، ولأننا كما أعلننا غير مرة ، غير قوامين على حرية الفكر في مصر ولا في غيرها من بلاد الله ... فليعتقد من يشاء ما يشاء ، بشرط ألا يجعل عقيدته دعوة يدعو إليها ويجهز في كتب ينشرها بأنها هي الحق ، وأن ما يؤمن به هو الباطل ... وبشرط ألا يقتري على الله وعلى رسوله إفسكاً يزههما المسلمون عنه ... فإن فعل ذلك ، وكان من اتصاليه إلى المسلمين ما نعلم ، فإذا ينكر منا أفاضل

وليقتن قراؤنا العوام السذج إلى المعنى المسموم الذى تحمله هذه العبارة ! الحق يظلم إذا أظلم الدين فى الفلسفة ، لأن الفلسفة وحدها هى التى تعرف الحق وتعرف كيف تصل إليه ! أما الدين فلا شأن له بالحق ... لأن العقل لا يستطيع أن يعمله ! ولماذا هذا الالف كله ؟ لأن الدين يقول بأن الله هو الذى خلق العالم ... وهذا قول مهمل هين لئين ... لم تحسن الفلسفة أن تقول مثله إلى اليوم ! لكن الفلسفة مع عجزها أن تقول مثل هذا القول ، تزعم أنه قول غير معقول ، والمعقول عندها أن يكون العالم قديماً لا خالق له ، أو أن يكون الله هو هذا العالم ... أو الوجود السكلى المطلق ! وتحار الفلسفة بعد ذلك كيف يكون هذا العالم إلهاً . وكيف يكون هذا العالم بعجزه ويجره عاقلاً إن كان عاقلاً يا ترى ؟ وكيف تم له هذا الإحكام البديع فى كل شيء ؟ فى الأفلاك والسدم والضوء والحرارة والكهرباء والمغناطيس والغازات . والحياة المقعدة فى الحيوان والنبات ، وفى الحركة ، وفى السكون . والمعقول عند الفلسفة أن يكون كل شيء خاضعاً لقوانين الجبر الصارمة ، وإذا كان ذلك كذلك فما معنى أن يرسل الله — الذى هو الوجود السكلى المطلق — رسلاً ويتخذ أنبياء ؟ هل تستطيع الرسل تبديل شيء أو تغييره ؟ إن أمر الرسل إذن عبث فى عبث . والرسول — أضل الله الفلسفة — كذابون أدعياء ، أو على الأقل ، رجال مخدوعون شُبّه لهم أنهم ينطقون بلسان الله ، الذى هو الوجود المطلق السكلى !

هذا هو بعض الهذيان الذى تريد الفلسفة أن تدسه فى روع المؤمنين من القراء البسطاء الذين يؤمنون بأن الله خلقهم ، فتحاول الفلسفة إيهامهم أن العلم لا يسبغ هذا ولا يهضمه ، وإن كان يسبغ الشكوك والوساوس ويهضمها !

أفليس ذلك شيئاً ظريفاً جديراً بلفت أنظار القراء إليه ؟ ! وشيء ظريف آخر يستملح (!) لفت الأنظار إليه ... ذلك أن هؤلاء العلماء الأعلام يلحون على أذهان القراء بتذكيرها دائماً أنهم علماء . فهل يقصدون من وراء ذلك شيئاً ، غير أن مناظرهم فى موضوع وحدة الوجود هم من الأميين الذين يحكمون فى موضوع هام كهذا غواطفهم ، ولا يحكمون عقولهم ، إن كانت لهم عقول ! وأن هؤلاء المناظرين قوم متدينون

العلماء الذين لا يؤمنون إلا بالمادة حين تقول لهذا القائل إنه ملحد ، وإنه زنديق ؟ ! وقد قال هو إن إلهنا هو هذا الوجود المأكول المشروب المنظور المسموم الذى تدركه الحواس كلها ، وإن نبينا هو هذا الرجل الذى ألف القرآن . وزعم — غير قاصد شراً ! — أن الله هو قائله وموحيه ، لأنه كان أول من عرف سر وحدة الوجود ؟ ! فإن لم نسم هذا الرجل ملحداً زنديقاً ... فماذا يكون يا ترى ؟ ! أ يكون سيد العارفين بالله الذى يؤمن به ؟ وهل من حرية الفكر أن يقول ذلك رجل ينتسب إلى المسلمين ، فإن رد عليه رجل من المسلمين وسمي قوله هذا إلحاداً وزندقة ، صاح حضرات الأفاضل العلماء الأعلام الذين لا يؤمنون إلا بالمادة ، وينكرون ما وراءها : لقد خنقت حرية الفكر فى مصر وفى الشرق ، ثم هتفوا بالعلماء الأحرار فى مصر وفى الشرق أن يقنؤوا وأن يرعوا ، وألا يصرحوا بالحق الذى يؤمنون به فى هذه البيئة المؤمنة الساذجة المنزعة ، حتى لا يرموا بالإلحاد والزندقة ! هنا واحد من هذه الأشياء الظريفة التى وددت أن ألفت إليها أنظار القراء !

فهؤلاء العلماء الأعلام الذين لا يؤمنون إلا بالمادة يريدون أن يثبتوا فى أذهانكم يا قراءنا العوام السذج المؤمنين أمثالنا أنهم على حق فيما يذهبون إليه بشأن هذا الوجود ، وأننا على باطل ... لأن الوجود قديم ، ولم يخلقه إله قادر مستقل عنه كما يفهم بسطاء المسلمين والمسيحيين واليهود وأهل كل ملة ممن ليسوا علماء أعلاماً أمثالهم ، لأنهم لم يدرسوا فلسكاً ولا منطقاً ولا علم طبقات الأرض ولا فيزيقا ولا كيمياء ولا فلسفة ، ولا هذا الثبوت الطويل من العلوم التى أعشى فى دراستها علماء المسلمين الأعلام أبصارهم ، ولم تضل مع ذاك بصائرهم

بهذه الطريقة يريد هؤلاء العلماء أن يثبتوا فى أذهانكم أنهم على حق ، لأنهم ينطقون بلسان العلم الذى لا يضل ، أما مناظروهم فينطقون بلسان هذا الحشد الحاشد من الأساطير الدينية ، التى هى من أنبياء الغيب ، فليس لعقل رأى فيها !

أليس ذلك شيئاً ظريفاً جديراً بلفت أنظار القراء إليه ؟ ! ومما يلحق بهذا الشيء الظريف تصريحهم ، ليوهموا القراء كذلك ، أننا نظلم الحق ، حينما نقحم الدين فى الفلسفة ...

على هامش النهر :

١ - في عالم القصة

بنت الشيطان ... محمود تيمور

للأستاذ سيد قطب

ليست هذه هي المرة الأولى التي أهم فيها بالكتابة عن « تيمور » ثم أوثر الترتيب ، لأراجعته مرة أخرى إنه يصعب عليك - وأنت تتحدث عن القصة - أن تغفل عمل تيمور . ولكن يصعب عليك أيضاً أن تقرر مكانه ، وأنت مستريح الضمير

رجل كالمويلحي - صاحب حديث عيسى بن هشام - لا يجد الناقد مشقة في تعيين مكانه . مكان « القنطرة » التي تمبر عليها القصة العربية من المقامة اللغوية ، إلى القصة الفنية ورجل كتوفيق الحكيم ، لا يجد الناقد مشقة في تعيين مكانه . مكان « الفنان » ، الذي يجمل القصة والرواية ، فصلاً من فصول الأدب العربي ، يقف في صف واحد مع بقية فصوله ،

والتيدين في هذا العصر شيء عتيق يثير الضحك ويدعو إلى السخرية . وأهل التدين في غالب أمرهم قوم شذاذ الأفهام لم يدرسوا فلسفة ولم ينشدوا علماً . فكيف يا أيها القراء النجب تتخذون بأقوالهم وتنساقون إلى الأخذ بأرائهم ؟ إن خليقكم بكم ألا تضيخوا إلى كاتب يحسب نفسه واعظاً في مسجد أوراقياً في كنيسة ، ولا أقصد أن أعجز صديق الدكتور زكي بإيراد عبارته تلك ...

أفليس ذلك شيئاً ظريفاً من مناظرنا الأفاضل ، أن يقفونا تلقاءهم ذلك الموقف المضحك الذي لن يجوز باطله على أحد ! يتحدثون عن حرية الفكر . فإذا أصابهم من ضروب التضيق يا ترى ؟ !

لينظروا . فسنحدثهم عن حرية الفكر وما لقي إخوانهم الذين سبقوهم إلى القول بوحدة الوجود من ضروب الهوان ما أكثر الأشياء الظريفة التي كان ينبغي أن تلفت إليها أنظار القراء لولا ضيق القام

(للحديث بقية)

دميني فضبة

التي كانت من قبل مقررة ، والتي لم يكن الأدب العربي يترف بغيرها من الفصول . يتفق الجميع على هذا من ناحية البدء ، ثم يختلفون في تقويم عمله بعد ذلك كما يشاءون

وقد لا يكون الإنسان - في عالم القصة - قنطرة كالمويلحي ، ولا مقرراً لفصل جديد في كتاب الأدب العربي كتوفيق الحكيم ؛ ثم يكون له بعد ذلك مكانه المعلوم

فالمازني مثلاً قد اشتغل بالقصة الطويلة كإبراهيم الأول وإبراهيم الثاني ، وثلاثة رجال وامرأة ، وعود على بدء ، وبالقصة القصيرة كقصصه الكثيرة في خيوط المنكبوت ، وصندوق الدنيا وسواها . ومكانه في هذه القصص وفي سواها هو مكان « الأديب » الذي يستفيد مما يقرأ أعظم الفائدة ، ويتأثر به فيما يكتب كل التأثر . ولكنه بطبع الجميع بطابع خاص متميز والمازني - بهذه الصفة - يمكن أن يعد قنطرة لنوع من القصة « الواقعية الشاعرية » قنطرة لأصحاب المواهب الخالقة ، يتأثرون طريقته الجيدة ، ويبدعون من ذات أنفسهم بلا اعتماد على أصل يلهمهم

وهناك شبان يحاولون ، لم يقرر لهم بعد مكان ، فينهم وبين تقرير مذاهبهم في عالم القصة خطوات وتجارب وتعديلات . من كتاب القصة القصيرة الأستاذ « يوسف جوهر » - وهو ينسج على متوال جي دي موباسان - في حرارته وشاعريته ، ولكن « جسم القصة » عنده ما يزال بعد ضئيلاً ، وما يزال مكرراً ، وكثيراً ما يحس القارئ بعد نهاية القصة أن حرارتها البراقة قد خدعته ، وأنه لم يخرج منها شيء كبير ، لا من ناحية الموضوع ، ولا من ناحية اللغات الفنية في العرض ، ولا من ناحية الرصيد الإنساني الذي هو أثنى ما في العمل الفني

ومنهم الأستاذ « صلاح ذهني » - وهو لا يزال يقبس من طرائق مختلفة ، وله توفيقاته في أحيان كثيرة . ولكنه ينقصه التركيز ، كما ينقصه روح الإبداع الذي يرفع القصة من الحادثة اليومية إلى المجال الإنساني . وقصصه في حاجة كذلك إلى الحرارة التي تشعنا أنه يحس بما يكتب ، وليس مقفراً جاعاً يصف الحوادث

ومن كتاب القصة الطويلة الأستاذ « با كثير » وقصصه - لها طلاوتها والحياة واضحة فيها - ولكن لا يزال ينقصها تمكن الروح القصصية ، التي تنسى القارئ أن هذه قصة

المزوجة بالشاعرية ، حتى لتقرب من الرومانتيكية في بعض الأحيان . كما في عودة الروح ، وعصفور من الشرق ، ويوميات نائب في الأرياف ، وزهرة العمر - وإن ظلت هذه الواقعية مرسومة بحسب « الفكر » لأن هذه هي السمة الغالبة على طبيعته - ولكن قصصه وروايته تستند دائماً من « الفسق الفني » والإشباع الشعري ، ما تموض به الحياة الحقيقية .

وما يتيح لها أن تنشئ مدرسة معروفة السمات ورجل كالمازني يمثل « الأديب » الذي يفيض على شخص قصصه حركة حية سريعة ، في حساسة شاعرية قوية ، كما في إبراهيم الكاتب وإبراهيم الثاني قصتيه الأساسيتين ، أو يفيض عليها الحركة في دعابة ساخرة كما في القصص القصيرة

ومهما قيل من تأثر المازني لبعض كتاب القصة الغربيين ، واقتباسه من طرائقهم وموضوعاتهم كذلك . فالذي يبقى له بعد هذا كله ليس بالقليل . إنه يتأثر ويقتبس في اتجاه واحد ، وبطريقة واحدة ، يبدو فيها طابع خاص ، هو دليل الشخصية الفنية ...

وقد لا يكون المازني خالقاً ولا مبتدعاً لموضوعاته وطرائقه ، ولكن هذا لا ينفي أن له طابعه الشخصي في كل ما يكتبه . هذا الطابع هو الحركة السريعة ، والانتباه إلى دقائق الانفعالات النفسية ، وإبراز الاستجابات التي يمر عليها الكثيرون غافلين . مع تأثره بكشوف علم النفس الحديث ولا سيما في مجال « التحليل النفسي » هذا التأثير الذي قد يطنى على العمل الفني في بعض الأحيان ، كما في « ثلاثة رجال وامرأة »

فما مذهب تيمور تجاه هذه المذاهب أو سواها في القصة ؟
يمر عليك أن تسلك في الواقعية الضيقة التي يمثلها عيسى ابن هشام . إذ أن فيه قسطاً من الشاعرية والتلون الفني . ويمر عليك أن تسلك في « الواقعية الشاعرية » التي يمثلها للمازني ، لأن الحركة في فنه وثيدة ، والألوان النفسية باهتة ، والشخصية الإنسانية لا تنصرف تصرف الأحياء . ويمر عليك أن تسلك في « الفنية الرمزية » التي يمثلها توفيق الحكيم لأن الفكرة الفلسفية والمعاني الرمزية لا تبرزان في أعماله

فتيمور لا هو الذي يرسم شخصيات محلية كالويلحي ، ولا هو الذي يصور نفوساً آدمية كالمازني ، ولا هو الذي يخلق

وتخيّل له أنها قطعة من الحياة تقع الآن . وليس مرد هذا إلى نقص الحياة ، ولكن إلى نقص الروح القصصية ، فهو ما يفتأ بين حين وحين ينزه القارئ إلى أنه يقص عليه ، ولا بدعه يستغرق في القصة وينساه !

ومنهم الأستاذ نجيب محفوظ والأستاذ عادل كامل ، وكلاهما بخطو الخطوات الأولى ؛ ولكنها - فيما يبدو - خطوات ثابتة وثيقة . تكفي لإثبات وجودها في عالم القصة ، وإن لم تثبت لها بعد مذهباً مقررّاً ينسج غيرهما على منواله ؛ إلا أن هذا لا ينفي أنهما في الطليعة - على تفاوت بينهما - في طليعة كتاب القصة الشبان بلا جدال

وهكذا نجد اسكل من يشتغل بالقصة في مصر مكانه المعلوم في هذا العالم . فإين نضع « تيمور » بين هؤلاء ؟
لا هو القنطرة بين طور من أطوار القصة وطور كالويلحي ، ولا هو القنطرة بين التأثر والابتداع - مع وضوح الذاتية الشخصية والطابع المميز - كالمازني . ولا هو الفاشيء الذي لم يزل أمامه المجال منفتحاً للتمكن والسكال

وهذا كله من ناحية الشكل . فأما من ناحية المذهب والطريقة ، فالخيرة كذلك واقعة
رجل كالويلحي قصاص واقعي بالمعنى الضيق للواقعية . وهو مع ذلك قد استطاع أن يرسم عدة شخصيات إنسانية للعصر الذي كتب فيه القصة ؛ وأن يصور البيئة التي عاشت فيها هذه الشخصيات المحلية : الباشا ، والعمدة ، والمحامي ، والنائب ، والمشايع ، وغيرهم من الشخصيات التي رسمها في حديث عيسى ابن هشام . وهم آدميون لا تشك في آدميتهم ، وواقعيون - بالمعنى الضيق - لا ترتاب في واقعتهم ؛ مع شيء من السخرية والدعابة ، تحسبان لهذا القصاص في عالم الفنون

ورجل كتوفيق الحكيم ، قد تقرر مذهبه - إلى اليوم على الأقل - فهو في التمثيلية « الفنان » الخالق الذي يبدع شخصه من « ذهنه » ليؤدوا له فكرة فلسفية خاصة . وهم - على هذا الوضع - أشخاص صحاح منطقيون مع طبيعتهم ، مستقيمون من أول التمثيلية إلى آخرها مع الفكرة التي خلقوا ليؤدوها . كما في أهل الكهف ، وشهرزاد ، وبيجاليون ، وسليمان الحكيم . أما في القصة فهو ينحرف عن هذا المذهب إلى شيء من « الواقعية »

طبيعية حتى لتكاد تقول : هذا مخلوق حي . ولكن ما تلبث أن يخلف أملاك بحركة تكشف لك أن ما أمامك إنما هو تمثال من الشمع ، بحركة المؤلف حركة خاصة ، لأنه توهم - من التحليل النفسى - أن الناس يتحركون هكذا في هذا المجال ويحاول تيمور أن يرسم نماذج بشرية من خلال شخصيات محلية - وهي محاولة لو أفلحت لأنشأت فناً إنسانياً وقومياً رفيعاً - ولكنه فيما يخيل إلى بعيد كل البعد عن الناس وعن البيئة . فأناس - حيث كانوا - لا يتصرفون هذه التصرفات . والناس في مصر ، ليسوا كما يتوهمهم المؤلف ، لا في طبيعتهم ، ولا في أحاديثهم ، ولا في خلجاتهم النفسية ، ولا في سمة من السمات المحلية الكثيرة التي تبرز طابعهم

إنه لا يخطر لهذه الشخصيات مرة واحدة أن تنفعل انفعالاً قوياً ، كما يقع للأدبيين - وحين تنفعل يبدو التشكاف والبعد عن الحقيقة - وهي غالباً « سهتانة » كما يقول المصم ، حتى في فورات الحب ودفعات الانتقام . والحركة العنيفة ليست مطلباً فنياً في ذاته ، ولكنها علامة من علامات الحياة تصدر من البيئة الحية في ميعادها ، فتدل على الحياة الكامنة فيها

و « بنت الشيطان » مجموعة قصص تبدأ بأسطورة تحمل هذا العنوان . وتحوى غيرها سبع قصص أخرى وتلج في هذه الأسطورة محاولة فلسفية لإبراز فكرة خاصة ، على نحو ما يصنع توفيق الحكيم . ولكن المدى متطاوّل . إن الحركة القومية السريعة ، والبراعة الفنية اللبقة كانتا خاصتان من خواص العمل الفني عند توفيق ، وكلاهما تتوارى في هذه المحاولة ، فتظل باهتة اللون ، وانية الحركة ، حتى تنتهي الأقصوصة وفي نفسك ظلال خفيفة تنمحي بعد قليل

« بنت الشيطان » طفلة آدمية ، اختطفها زعيم الشياطين ، لينفذ وصية سلفه العظيم ، في أن يصنع شيئاً ، يثبت به أن الشيطان قادر على القيام بشيء آخر غير الشر الذي اشتهر به . فهو يحاول أن يذسها بعيدة عن الشر والألم في قصر مسحور

ولكن أميراً شاباً مقاصراً يسمع بخبرها ، فيحاول وينجح في الاتصال بها واختطافها ويفتح عينها على مباهج الحياة الدنيا ويوقظ فيها غرائزها - بعد أن كانت نائمة - فإذا ردها إلى القصر . اشتاقت أن تعود إلى دنيا الشرور الإنسانية ، مؤثرة

شخصاً فنية كتوفيق الحكيم . ولا هو مع ذلك كله القصصى الناشئ الذى تستطيع أن تدعه إلى التركيز والوضوح ! وقد كتب بعضهم يقول : إنه بلفت إلى « العقل الباطن » في سيرة أبطاله وتصرفاتهم ويستخدم كشوف « التحليل النفسى » كما في قنابل وأبو شوشة والوركب وكتب بعضهم يقول : إنه يرسم « نماذج بشرية » كما في نداء المجهول وسهاد

وهذا وذلك حق من حيث هو نية وقصد . ولكن ما أثره في العمل الفنى . إن قيمة القصة لا تقوم على أساس أن القصص ينتفع بالمباحث العلمية . فهذا قد يفسدها في بعض الأحيان . ولا على أساس أنه يحاول رسم « نماذج بشرية » فالهم هو صدق هذه النماذج وحيويتها

وتيمور وفق في بعض الأحيان في هذا الغرض أو ذاك ، ولكن هذا التوفيق لم يكن في تلك المواضع التي عينوها

فن أظهر الالتفاتات إلى « العقل الباطن » السليمة من التشكاف والاصطفاق والتي لم تؤثر على التنسيق الفنى للقصة ، التفاتاته في : « زمان الهنا » و « غانية الحانة » و « انقلاب » في مجموعة « فرعون الصغير » . ومن أظهر النماذج البشرية : السائحة الأمريكية في قصة « فرعون الصغير » و « رجل رهيب » في هذه المجموعة أيضاً . ومن الغريب أن تكون هذه المجموعة قد صدرت سنة ١٩٣٩ . بينما المجموعة الأخرى : « بنت الشيطان » وقد صدرت سنة ١٩٤٤ تتخلف عنها كثيراً في مميزاتها الفنية

ولكن أى تحليل نفسى . وأية نماذج بشرية ؟ لطالما خيل إلى وأنا أجول بين شخص تيمور أننى في « متحف الشمع » فتماثيل الشمع هي التي تمثل هذه الشخصيات أوضح التمثيل : فلا هي التماثيل الفنية يتصرف فيها الفن كما يشاء ليؤدى فكرة فنية أو ليمثل لحظة نفسية . ولا هي الأجسام الحية التي تجري فيها دماء الحياة ، فتتصرف تصرف الأحياء . إنها محاكاة للطبيعة وفيها قسط من الفن في الدقة والتلوين ، ولكنها ليست بعد من الأحياء !

وكثيراً ما يمجّزك وأنت تتأمل شخص تيمور وتصرفاتهم وطريقة حديثهم أن تردم إلى أى جنس من أجناس الأدبيين في أى زمان أو مكان . وقد يسير بعضهم في مبدأ الأمر سيرة

الموسيقي غارقاً تحت حمل من الملابس القديمة ، فيهرز يده فينهار !
وهكذا نجد في القصة الأولى ظلالاً إنسانية ، وتحليلاً
نفسياً ، وفي الثانية انفعالات نفسية وسخرية لطيفة . وكلتاها
تنبع من قلب إنسان ، ولكنه إنسان يؤثر اللطف والرفقة على
الإنفعال والحياة : صحبته ابتسامة باهتة . وغضبه سحابة
طارئة . ووثبته خطرة دانية . وإشارته إيماءة خفيفة . ولكنه
إنسان

هذه الظلال الإنسانية التي تبدو في بعض القصص ، مع شيء
من الشاعرية اللطيفة ، هي وحدها التي تجعل الناقد لا يستطيع
أن يغفل فن تيمور وهو يتحدث عن القصة ، مهما كان في هذا
الفن من قوتور
أيها القارئ . لقد حيرتك فيما أحسب بهذه الأحكام
المتناقضة !

إنها صورة من نفسى تجاه فن تيمور .
سبح قطب

إياها مع ذلك العالم الخير الخالي من الألم والشور
والفكرة — كما ترى — جيدة وبراقة . ولو تولاهما قلم
كقلم توفيق الحكيم ، لأخرج منها قطعة فنية منسقة . ولو
تولاهما المازني لأخرج منها قطعة فكاهية ساخرة
ولكنك تقرأها هنا فتمججيك الفكرة ثم تنقصك الحرارة
كما ينقصك التنسيق الذي يقرر الحركة المناسبة في موعدها
المناسب ، وهناك مواقف بين الشاب والفتاة تتوقع فيها حركة
ويرتفع نبضك في إنتظارها ، ولكنها تمر كما لو كانت في سنة
أو لو كنت متفرجاً بغير حماس !

وفي المجموعة سبع قصص أخرى من النوع « الواقعي » خير
ما فيها قصة « الترام رقم ٢ » ، وقصة : « الجنتلان »
[وفي الأولى يصور فتاة مشردة تركب الترام بلا أجر ؛ فيضيق
بها « التذكري » مرة بعد مرة ، حتى يزيد ضيقه بها فيدفعها
فتسقط ، ويكاد يقتلها الترام لولا من يأخذ بيدها في الطريق .
وهنا يسمع منها التذكري أنها لم تذق الطعام منذ أمس ، بينما
ينطلق الترام

منذ ذلك الحين يذب في نفسه عطف على الفتاة ، ولكنها
تتبع بعد قليل أن هذا اللطف ليس خالصاً . لقد انتهت الفرصة
إن هذا التذكري يعيش أعزب منذ أن ماتت زوجته ، تقوم
بشئونه خادمة عجوز . فهو منذ اليوم ضيق الصدر بهذه الحياة ،
وهو مشتاق لأن يمر على الفتاة . وحين يمر عليها بعد أيام
لا يدفعها من الترام ، بل يدس في يدها تذكرة عند صمود
المفتش ، وحين يقف الترام يشتري لها رغيفاً محشواً بالأدم ،
ويسألها عن حياتها أسئلة متقطعة
حتى إذا كان الشوط الأخير نزل يقصد داره ، وقدمان
تتبعانه ... إلى الدار ! لقد أحست الأنثى بفرزتها ما الذي يعطفه
عليها ، فسارت على خطاه !

وفي الثانية يرى في مطعم اعتاد أن يرتاده . دمية تمثل
« الجنتلان » يمسك بيده قاعة الطعام ، فيتخيل هذا الجنتلان
حيّاً ، ويقابله بالتضايق منه والتبرم به ، لما في وقفته من تكاف
وما في « نفسه ! » من تصنع ، فيهجر المطعم من أجله . وأخيراً
يفلس المطعم ويبيع ليهودي في شارع « جامع البنات »
ويعر به ، فيراه هناك ذليلاً ممسكاً بيده عينة بطاقات . فيستريح
لذلة الجنتلان . ثم يزداد تدهوره ، حتى يمر به في شارع

دار الكتب الأهلية

تشارك في إحياء العيد الألفي لفيلسوف أبي العلاء المعري
فنقدم لأول مرة

رسالة الهناء

لأبي العلاء المعري

جزءان في سفر واحد
شرح وتحقيق الأستاذ الكبير
د. م. ك. م. م.

الذي حبيب الأدب العلاء إلى كل قارئ
كما حبيب القراءة إلى كل قارئ
الثمن ٣٥ قرشاً صاعاً - وللبريد ٦٣ ملياً
يطلب من الناشر

دار الكتب الأهلية

ميدان الأوبرا - ت ٤٩٠٦١
وفي السودان من مكتبة كردفان بالأبيض
وفي العراق من مكتبة الزوراء بسوق السراي ببغداد

علي هاشمي زكري المعري

«داعى الدعاة» مناظر المعري

للدكتور محمد كامل حسين

— ٦ —

— — —

رأينا المؤيد عالماً من أكبر علماء عصره ، ومؤلفاً يثب آراءه وتعاليمه في بطون الكتب ، ومجادلاً له خطره يخشاه مناظروه ويرهبه أكبر مفكرى عصره وهو أبو العلاء المعري . والآن نتحدث عن أثر المؤيد فيمن جاء بعده بمد أن عرفنا مقدار تأثيره في معاصريه ، فقد كان للمؤيد تلاميذ استمعوا إليه وأخذوا عنه ، منهم الشاعر الفارس المشهور « ناصري خسرو » الذى وفد إلى مصر بدعوة من المؤيد ، ووصف مصر في كتابه المشهور « سفر نامه » . فقد تحدث هذا الشاعر عن المؤيد وبجانبه في كثير من قصائده . فمن ذلك ما ترجمته :

« إن الله قد فتح عليك باب الحكمة بما تفتح عنه خاطر الأستاذ المؤيد

كل من يراه يوم مجلسه يرى عقلاً مفكراً
أن الأستاذ جمل يعطى يوماً مشرقاً بهرايين منيرة كالشمس
إنى نظرت من زاوية عقله فرأيت الفلك دائراً تحتى
فقد أطلعتنى على الدالين (الظاهر والباطن)
وجملهما حاضرين وفي مكان واحد من وجودى .

إنى رأيت فى مكان واحد مالكا ورضوان ، واستقر فى صدرى الفردوس والنيران

وقال لى إننى تلميذه ، وأشار عندئذ إلى رضوان «
إلى غير ذلك من أشعار ناصري خسرو الفارسية التى تحدث فيها عن أستاذه المؤيد والتى بطول بنا الحديث هو نتبعنا أثرها .
من ناحية أخرى بعد المؤيد أستاذ الدعوة الفاطمية فى اليمن مع أنه لم يرحل إلى هذه البلاد ، بل نقل تلاميذه إلى هذه البلاد آراءه وتعاليمه ، وأثبت علماء اليمن هذه الآراء والتعاليم فيها تركوه لنا من كتب ، بل أستطيع أن أقول إن علماء الدعوة فى اليمن هم أكثر

الناس حديثاً عن المؤيد ، واقتباساً من كلامه واستناداً لحججه ، وأشدّهم اعتقاداً بأن الحق ما قاله المؤيد دون غيره من الدعاة ، ويكنى أن نستدل على ذلك بقول إبراهيم بن الحسين الحامدى المتوفى سنة ٥٥٧ هـ فى كتابه كنز الولد : وسيدنا المؤيد أقرب الحدود إلينا ، وهو لا يأتى إلا بصحيح ما جاء به الحدود وإلغاء ما كان به شبهة أو فساد ، لأن الآخر ينسخ ما جاء به الأول بإيضاح الرموز ؛ والمؤيد حجة رابع الأشهاد ذو القوة فى العلم والتأييد والحكمة والتسديد المنصوص عليه باسم الحججية ، كما قال مولاه المستنصر عنه :

يا حجة مشهورة فى الورى وطود علم أعجز المرتقى
شيعتنا قد عدموا رشدهم فى الغرب يا صاح وفى الشرق
فانشر لهم ما شئت من علما وكن لهم كالوالد المشفق
إن كنت فى دعوتنا آخرنا فقد تجاوزت مدى السبق
مثلك لا يوجد فيمن مضى من سائر الناس ولا من بقى
فهذه شهادة من لا ترد شهادته ، وأمر من لا يرد أمره ، وتفويضه له فى نشر ما أحب أن ينشره من العلم بلا حصر ولا قصر ، لعله بما عنده من الحق «

أما الذى نقل آراء المؤيد إلى اليمن فهو تلميذه ملك بن مالك قاضى قضاة اليمن فى عهد الصليحي . ولم أجد فى الكتب التى تتحدث عن اليمن شيئاً عن ملك هذا ، ولكن الحسن بن توح الهندى صاحب كتاب الأزهار ذكر لنا قصة طويلة ، تلخصها فى أن الصليحي صاحب اليمن أرسل قاضى قضائه « ملك بن مالك » على رأس وفد إلى مصر للسماح للصليحي فى النهوض إلى العراق لامتلاكها باسم الفاطميين . فلما جاء الوفد إلى مصر نزل ملك فى دار المؤيد مدة خمس سنات وانتهز هذه الفرصة ، فأخذ عن المؤيد أسرار الدعوة الفاطمية ، وكان يدون كل ما يسمعه عن المؤيد إلى أن استوعب كل ما عند المؤيد من علم ، وكان المستنصر الفاطمى قد حجز وفد اليمن لأسباب لا نعلمها ، ولم يسمح لهم بالعودة إلى بلادهم إلا بعد أن قتل الصليحي ، فعاد ملك إلى اليمن وهناك بخل بعلمه ، ولم يسمح إلا بالشيء القليل منه للداعى المكرم بن الصليحي والعلامة الحرة أروى وأحمد بن قائم وغيرهم من الدعاة ، بينما خص ملك ابنه يحيى بن ملك بجميع أسرار

الدعوة وكل ما عنده من العلم والحكمة وسلمه كل ما دونه عن المؤيد ؛ فهياً بذلك ابنه يحيى ليكون حجة اليمين في عهد الخليفة الأمر الفاطمي ، وأصبح يحيى أكبر عالم في اليمين يحج إليه أتباع المذهب الفاطمي للأخذ من علومه التي رواها عن أبيه عن المؤيد

— وذكر صاحب كتاب الأزهار جماعة من تلاميذ يحيى منهم الداعي الخطاب بن حسن الشاعر المتوفى سنة ٥٣٣هـ وذؤيب بن موسى التوفى سنة ٥٤٧هـ وغيرهما ، وهؤلاء الدعاة انتشروا في اليمين يبشرون بما سمعوا عن يحيى بن ملك وأصبح لهم تلاميذ . فذؤيب مثلاً أستاذ الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي ، وهذا أستاذ حاتم بن إبراهيم ، وهذا أستاذ علي بن حاتم ، وهذا أستاذ علي بن محمد بن الوليد . وهكذا نستطيع بسهولة وبسر أن نتبع علماء الدعوة في اليمين وأن نلصق في هذه المدرسة روح المؤيد وتعاليم المؤيد أخذها دعاة اليمين أحدهم من الآخر . ولو تصفحنا كتب الدعوة في اليمين التي وضعت في القرنين السادس والسابع من الهجرة لا نكاد نجد كتاباً منها يخلو من استشهاد بأقوال المؤيد أو بأشعاره ، فصاحب « كنز الولد » ذكر المؤيد في أكثر من ستين موضعاً ، واقتبس من المجالس المؤيدية ومناجاة وأشعاره . وصاحب كتاب الأنوار اللطيفة ذكر المؤيد أكثر من أربعين مرة ، ونقل صاحب كتاب الأزهار فصولاً بكلمها عن المجالس المؤيدية منها رسائل المؤيد إلى أبي الملاء المعري وهكذا ، وكان هؤلاء العلماء يشيرون إلى المؤيد بقولهم : « سيدنا المؤيد » أو « سيدنا » فقط إيماناً في تعظيمه وتبجيله . وإذن فقد كان المؤيد عظيم الأثر في الدعوة الفاطمية بل لا تزال كتبه إلى الآن من أمهات الكتب التي لا يقرها إلا من بلغ مرتبة عالية من مراتب الدعوة في الهند واليمن (أي بين طائفة البهرة)

— هناك ناحية أخرى تجعل فيها عبقرية المؤيد ، تلك هي ناحية الفن الأدبي عند المؤيد ، فقد كان المؤيد رجلاً صاحب فن كما كان عالماً من أعلام المذهب الفاطمي ، وكانت صفته الذهبية تضطره إلى أن يحيط بكل شيء حوله ، وإلى أن يلم بالأراء الذهبية والتيارات الفلسفية التي ملأت الأقطار الإسلامية في ذلك العصر ، فأخذ المؤيد يحفظ رافر من نواحي الحياة العقلية المختلفة واضطر

إلى أن يجادل مخالف مذهب طوراً بالمكاتب وطوراً بالمناظرة الشفوية فكان ذلك من أقوى الأسباب التي أدت إلى أن يكون المؤيد حريصاً أشد الحرص في أسلوبه وفي لفظه وأن يكون ناقداً مدققاً يفكر وبطيل التفكير وينقد كل لفظ قبل أن يذيعه في الناس فظهر أسلوبه الأدبي أسلوباً رائعاً يهر السامعين ، جمع بين قوة أسلوب العلماء المفكرين ، وروعة أسلوب الكتاب الإنشائيين حتى كأن به قد اتخذ أسلوبه سلاحاً ليذبح به خصومه وليجذب به سامعيه . والمؤيد في الوقت نفسه كان أستاذاً من أسانذة (التأويل) وأساس التأويل يعتمد على قوة الملاحظة وخصوبة الخيال ، وعلى قدرة خاصة على التغلغل في الموجودات ليتخذها المؤول دليلاً على أسرار الدين فكان لهذه الناحية أثرها في فن المؤيد إذا أتجهت به في شعره اتجاه خاص لا نكاد نجده عند أي شاعر آخر من شعراء العربية إلا عند أبي الملاء المعري ، فأبو الملاء والمؤيد هما الشعراء اللذان استطاعا أن يسفيا في شعرهما اختلاف العقائد الدينية ، وأن يتحدثا عن الآراء الفلسفية وعن الحياة والموت وعن دقائق السكائنات العلوية والسفلية

انظر إلى المؤيد مثلاً وهو يتحدث في إحدى أراجيزه عن خلاف الناس في موضوع « الرؤية » :
وتقصوا قواعد الشريعة كل له مقالة شنيعة
من مثبت لرؤية الرحمن مستشهد بآية القرآن
ومنكر قد جاء ينفى تلكا ودونها الشرك يرى والكفرا
وقال في نفس الموضوع في أرجوزة أخرى :

فقال قال تراء العين وهو لمعري وصمة وشين
من أجل أن رؤية الأبصار مغممة بالجسم ذي الأقطار
وقال قد قال لما دققا جداً وفي أفكاره تعمقا
ما ذاك إلا قول ذي تضليل تراء لكن رؤية العقول
أمن حتى ما أتى تبشئ ولم يبق رشداً من غي
فالعقل للمراء أداة كالبصر فإن جعلت نحوه سبيلاً
كلاهما يدرك بالمجانسه مقالة صحت بلا ممارسه
وليس من جنس العقول الله يا قوم كي تدركه حاشاه
كما تعالى أن يكون كالصور مجسماً كيما يلاقيه البصر

القضايا الكبرى في الاسلام

قذف عائشة

للأستاذ عبد المتعال الصعدي

- ٨ -

سأتناول بحث حديث الإفك المشهور من ناحيته القضائية ، وسأعنى في ذلك بتحقيق أمور فيه لم يتناولها الذين بحثوه من ناحيته التاريخية ليكون بحثاً قضائياً ينسجم والبحوث القضائية التي تدخل في موضوعنا ، ويتفق في ذلك مسلكه ومسلكها ، ويندرج به في مسائل القضاء لا في مسائل التاريخ

وكان حديث الإفك في السنة الخامسة من الهجرة ، وقد جرى بعد انتهاء النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق ، فلما دنوا من المدينة قافلين من تلك الغزوة أذن ليلة بالرحيل ، فقامت عائشة رضي الله عنها اقضاء حاجتها حتى جاوزت الجيش ، فلما قضت شأنها أقبلت إلى رحلها ،

فالتفتان اجتماعاً مشبهه خباطتا عشواء جهل وعمه ما جاوزت حد صفات البشر ونمت أرواحهم والصور ذلك تشبيهه فما التوحيد وذاك تجسيد فما التجريد فهو هنا يتحدث عن موضوع خاض الناس فيه ، وتفرقوا شيماً وأحزاباً بسببه ، حتى لا نجد كتاباً من كتب الفرق إلا وبه فصل عنه ، فلم يترك المؤيد هذه الفرصة دون أن يدلي بدلوه مع غيره من العلماء ، بل هو هنا يجادلهم بالنظم ، كما جادلهم بالنثر ، جادل المعتزلة الذين يرون أن الله سبحانه وتعالى يرى رؤية عقلية ويجادل التشبهة الذين قالوا إننا نرى الله رؤية العين ، ولكن المؤيد يرفض الرأيين ولا يقبلهما ، كما يدلنا نظمه هذا على عقيدة الفاطميين في هذا الموضوع . وإذن فنحن نستطيع أن نأخذ ديوان المؤيد مرجعاً هاماً لدراسة عقائد المذهب الفاطمي . فقد بث المؤيد شيئاً كثيراً جداً من العقائد الفاطمية في أراجيزه وشعره منح بها خلفاء مذهبه .

دكتور

محمد لامل م-عين

مدرس بكلية الآداب بالفاخرة

(ينسج)

فلست صدرها فإذا عقد لها من جزع ظفار قد انقطع ، فرجعت تلتمسه في المحل الذي قضت فيه حاجتها ، وقد حبسها التماسه حتى أقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لها ، فاحتملوا هودجها على بعيرها وهم يحسبون أنها فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لقله أكاهن ، لأن السممن وكثرة اللحم تنشأ غالباً عن كثرة الأكل

وقد رجعت عائشة بعد أن وجدت عقدتها إلى محل الجيش فوجدتهم قد ارتحلوا ، فجلست في مكانها الذي كانت فيه ، وظلت أنهم سيققدونها فيرجعون إليها ، فبينما هي جالسة في مكانها غلبتها عينها فنامت ، وكان صفوان بن المسطل رضي الله عنه من عادته أن يسير وراء الجيش ، يفتقد ضائعه ، ويرد ما يجده من ذلك إلى صاحبه ، وقيل إنه كان ثقیل النوم لا يستيقظ حتى يرتجل الناس ، فلما وصل إلى عائشة عرفها لأنه كان رآها قبل الحجاب ، فاسترجع أي قال : إنا لله وإنا إليه راجعون . فاستيقظت عائشة باسترجاعه وسرت وجهها بجلبابها ، فأناخ راحلتها وأركبها من غير أن يشكها بكلمة ، ثم انطلق يقود بها الراحلة حتى وصل الجيش وهو نازل للراحلة .

وكان عبد الله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين نازلاً مع جماعته مبتعدين عن الناس ، فلما صبرت عليه عائشة وصفوان قال : من هذه ؟ قالوا : عائشة وصفوان . فقال : فجر بها ورب السكبة . وفي رواية : ما برئت منه وما برى منها . وصار يقول : امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت . ثم أشاع ذلك في المدينة بعد دخولهم لها ، وقيل إنه كان يتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه ، أي يستخرجه بالبحث عنه ، ولكن الذي ثبت عليه الاشتراك في هذا الإفك أربعة : عبد الله بن أبي ، ومسطح بن أثانة ، وحنمة بنت جحش أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين وعبيد الله بن جحش أخوها . وبعضهم زاد خامساً هو زيد بن رفاع . وبعضهم زاد سادساً هو حسان بن ثابت

ولا شك أن هذا لا يعد إلا قذفاً في حق عائشة رضي الله عنها ، لأن دعوى الزنا تقرر أمرها قبل حديث الإفك بأية النساء : (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً) ؛ فلا يثبت الزنا بعد هذه الآية إلا بأربعة من

بريرة فقال لها : أرى بريرة ، هل رأيت من شيء يريبك ؟ قالت : والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أسراً أغصصه أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين أهلها ، فتأني الداجن فتأكله . ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم زوجه زينب بنت جحش . فقالت : يا رسول الله ، حاشا سمى وبصرى ، ما علمت إلا خيراً ، والله ما أكلها وإني لما جرتها ، وما كنت أقول إلا الحق

فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من استشارة كبار أصحابه قام في الناس وخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، من يمدني من رجل قد بلغني آذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، ولا يدخل بيتاً من بيوتى إلا وأنا حاضر ، ولا غبت في سفر إلا غاب معي

فقام سعد بن معاذ سيد الأوس وقيل أسيد بن حضير فقال : يا رسول الله ، أنا أعذرك منه ، إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك

فقام سعد بن عباد سيد الخزرج وقد احتملته الحبيبة فقال : كذبت كعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله . ونار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ، والنبي صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ، فلم يزل يُخَفِّضُهُمْ حتى سكثوا ، ولم يفعل شيئاً مع ذلك الرجل الذي آذاه في أهله ، درأاً لتلك الفتنة ، وإيثاراً للصالح بين الحيين الذين قام على عاتقهما الإسلام كل هذا وعائشة لا تعلم شيئاً مما يقال في حقها ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد أن يؤذيها به ، فكل شيء يهون إلا الشرف ، وكل شيء يهتمل إلا ما يخذش العِرْضَ ، وكانت قد مرضت عقب وصولها إلى المدينة ، فلم يشأ أن يزيدا آلاماً على آلام المرض ، ولكنه كان في نفسه شيء من تصرفها الذي مكن ذلك الرجل من ذلك الإفك ، وكان عليها عند خروجها للتماس عقدها أن تترك خيراً بذلك في الجيش . حتى ينتظر رجوعها ولا يسير ويتركها وحدها : فراها من النبي صلى الله عليه وسلم أنها لم ترم منه اللطف الذي كانت تراه منه حين تعرض ،

الشهود ، ولا يجوز لشخص أن يرمي أحداً بالزنا فيما دون ذلك ولو عاينه معاينة ، فكيف بأمر عائشة وقد جرى على أسلوب لا يدل على شيء من الريبة ، لأن الذي يقع في الريبة يحاول إخفاءها ، ولا يفعل ما فعله صفوان من الإتيان بعائشة على راحلته ، وكان الذي يجب أن يقع لو كان هناك ريبة أن يأتي وحده ويتركها إلى أن يمشوا في طلبها ، أو يقيم قريباً منها إذا خاف أن يتركها وحدها ، بحيث لا يراها ولا تراه ، ولا يراه أحد من الناس ، حتى إذا عمروا عليها سار على عادته في طريق الجيش ، وقطع على الناس طريق الكلام في أمرها

وإذا لم يكن حد القذف قد نزل إلى ذلك الوقت ، فإن ما حصل من عبد الله بن أبي وإخوانه يستحق التعزير الشديد ، لأنه قذف قبيح في حق سيدة شريفة لها منزلتها كزوجة نبي ، وكابنة أكبر أصحابه وآثرهم عنده ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتوجه نفسه إلى إقامة التعزير عليهم في ذلك القذف ، لأنه كان كثيراً ما يفضي عما يحصل من أولئك المنافقين ، ويؤثر في ذلك المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، لأن عبد الله بن أبي كان من رؤساء الخزرج ، وكان الإسلام لا يزال غصاً طرياً لم يقتلع من النفوس كل آثار العصبية ، وهذا إلى أن من الحكمة في مثل ذلك الإفك أن يقضى عليه بالإغضاء ، وأن يترك أصحابه حتى يملوه من أنفسهم ويروا أنه لا قيمة لسكلامهم فلم يهتم النبي صلى الله عليه وسلم إلا بمعرفة أثر ذلك الإفك في نفوس أصحابه ، وقد أخذ يستشيرهم في أمره ، فقال له عمر رضي الله عنه : من زوجها لك يا رسول الله ؟ قال : الله تعالى . فقال عمر : أفظن أن الله دلس عليك فيها ، سبحانه هذا بهتان عظيم . ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد ليستأمرهما في فراقها ، فأما أسامة فقال : أهلك يا رسول الله ، ولا نعلم إلا خيراً . وأما علي بن أبي طالب فقال : يا رسول الله ، لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإنك لتقدر أن تستخلف . وفي رواية أنه قال : قد أحل الله لك فطلقها وأنكح غيرها ، وإن تسأل الجارية تصدقك ، يعني بريرة رضي الله عنها ، لأنها كانت تخدم عائشة وتعرف من أمرها ما لا يعرفه غيرها . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم

ولم يأمرها بالستر ، مع أنه المطلوب من أتى ذنباً لم يُطْلَع عليه
فَقَالَتْ عائشة لأبيها : أَلَا تَجِيبَانِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَا : وَاللَّهِ لَا نَدْرِي بِمَاذَا تَجِيبُهُ . فَقَالَتْ : لَقَدْ
سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نَفُوسِكُمْ ، فَلَنْ تَلْتُمْ لَكُمْ إِلَى
بَرِيَّةٍ - وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيَّةٌ - لَا تَصْدُقُونِي بِذَلِكَ ، وَلَنْ اعْتَرَفْتُ
لَكُمْ بِأَمْرٍ - وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيَّةٌ - لَتَصْدُقَنِي ، فَوَاللَّهِ لَا أَجِدُ
وَلَكُمْ إِلَّا قَوْلَ أَبِي يَوْسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِذْ يَقُولُ : فَصَبِرْ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ . ثُمَّ تَحَوَّلَتْ فَاضْطَجَعَتْ عَلَى فِرَاشِهَا

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الَّذِي يَذْكُرُونَهُ لَا يَتَّفِقُ وَمَا سَبَقَ مِنَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ جَمَعَ النَّاسَ نَخَطِبُهُمْ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ
عَلَى أَهْلِهِ إِلَّا خَيْرًا ، وَأَنَّ أَهْلَ الْإِفْكَ ذَكَرُوا رَجُلًا لَا يَعْلَمُ عَلَيْهِ
إِلَّا خَيْرًا ، فَكَيْفَ يَمُودُ بَعْدَ هَذَا إِلَى الشَّكِّ فِي بَرَاءَةِ أَهْلِهِ مِنْ
ذَلِكَ الْإِفْكَ ، وَقَدْ اسْتَشَارَ كِبَارَ أَصْحَابِهِ فَرَأَوْا عَائِشَةَ مِنْهُ ،
وَذَكَرُوا أَنَّهُ إِمَامٌ وَبِهِتَانٌ عَظِيمٌ

وَلَمَّا بَلَغَ الْأَمْرُ أَشَدَّهُ ، وَلَمْ يَمُدَّ مِنَ السَّهْلِ أَنْ تَعُودَ عَائِشَةُ
إِلَى بَيْتِهَا عَلَى هَذَا الْحَالِ ، نَزَلَ الْوَحْيُ بِبَرَاءَتِهَا فِي الْآيَاتِ الْأُولَى
مِنْ سُورَةِ النُّورِ ، وَنَزَلَ فِيهَا حُكْمُ الْقَذْفِ : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ
الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُنَّ ثَمَانِينَ جَلْدَةً
وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ وَخَطَبَهُمْ وَتَلَا عَلَيْهِمْ
تِلْكَ الْآيَاتِ ، وَأَمَرَ بِجَلْدِ أَصْحَابِ الْإِفْكَ ، وَقَدْ اتَّفَقُوا عَلَى جَلْدِ
ثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ ، وَهُمْ مَسْطُحٌ وَحَمَّةٌ بَنَتْ جَجَشَ وَأَخُوهَا عُبَيْدُ اللَّهِ ،
وَاخْتَلَفُوا فِي جَلْدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَحْشَانَ بْنِ نَابِتٍ ، فَقِيلَ إِنَّ
عَبْدَ اللَّهِ جَلْدٌ أَيْضًا ، وَقِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَجْلَدْ ، لِأَنَّ الْحَدَّ كِفَارَةٌ وَلَيْسَ
مِنْ أَهْلِهَا انْفَاقَةٌ ، أَوْ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُمْ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ بِذَلِكَ ، أَوْ لِأَنَّهُ كَانَ
لَا يَأْتِي بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ ، بَلْ عَلَى لِسَانِ غَيْرِهِ

وَأَمَّا حَسَانٌ فَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكَ وَإِنَّهُ جَلْدٌ فِيهِ ،
وَقِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ وَلَمْ يَجْلَدْ مِثْلَهُمْ ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
مِنْ أَهْلِ الْإِفْكَ تَبَرُّؤُهُ مِمَّا نَسَبَ إِلَيْهِ فِي آيَاتٍ مَدَحَ بِهَا عَائِشَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ :

مَهْذَبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَتَهَا

وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلٍ

وَإِنَّمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا أَمَهَا كَتَمَتْهَا فَيَسْلُمُ ثُمَّ يَقُولُ :
كَيْفَ تَيْسَكُم . لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا ، ثُمَّ يَنْعَصِرُ وَلَا يَمُكُثُ عِنْدَهَا
وَلَمْ يَزَلْ هَذَا حَالَهُ مَعَهَا إِلَى أَنْ خَرَجَتْ بَعْدَ مَا تَقَهَّتْ ،
فَخَرَجَتْ مَعَهَا أُمُّ مَسْطُحَ بْنِ أَنَانَةَ ، وَهِيَ بِنْتُ خَالَةِ أَبِي بَكْرٍ ، وَكَانَ
ابْنُهَا مَسْطُحٌ بَيْتِيًّا فِي حِجْرِ أَبِي بَكْرٍ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَنْفَقُ عَلَيْهِ
لِأَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا ، وَقَدْ سَارَتَا حَتَّى وَصَلَتَا إِلَى الْمُنْصَعِرِ ، وَهُوَ
مَحَلُّ مَنَسَعٍ كَانَتْ النِّسَاءُ يَخْرُجْنَ لِلتَّبَرُّزِ فِيهِ ، فَلَمَّا فَرَّغَتَا
مِنْ شَأْنِهِمَا وَأَقْبَلَتَا عَثَرَتْ أُمُّ مَسْطُحَ فِي مِرْطَاطِهَا ، فَقَالَتْ : تَعَسَّ
مَسْطُحٌ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ لَهَا : بِئْسَ مَا قَلْتَ ، أَنْتَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ شَهَدَ
بِدْرًا ! قَالَتْ : يَا هَنْتَاهُ أَوْ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ ؟ قَالَتْ : وَمَا قَالَ ؟
فَأَخْبَرَتْهَا بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكَ

فَخَرَّتْ عَائِشَةُ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا حِينَ أَخْبَرَتْهَا بِذَلِكَ ، وَازْدَادَتْ
مِرْطَاطًا عَلَى مِرْطَاطِهَا ، وَأَخَذَتْهَا حَتَّى نَافِضَةً ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا
وَمَكَثَتْ لَيْلَتَهَا حَتَّى أَصْبَحَتْ ، لَا يَرْقَأُ لَهَا دَمْعٌ ، وَلَا تَسْكُتُ حَتَّى
يَبُومُ ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ تَبْكِي ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ تَيْسَكُم ؟ فَقَالَتْ لَهُ : أَنَا ذَنْبِي لِي أَنْ آتَى بَيْتَ
أَبِي . وَهِيَ تَرِيدُ بِهَذَا أَنْ تَنْتَبِهُ مِنْ ذَلِكَ الْخَطْبِ ، فَأَذِنَ لَهَا
فِي ذَلِكَ وَأَرْسَلَ مَعَهَا غُلَامًا مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَكَانَ قَدْ مَضَى إِذْ ذَاكَ
بَضْعُ وَعْشَرُونَ لَيْلَةً عَلَى قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكَ ، فَقَالَتْ لِأَمِهَا :
يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ ، تَحَدَّثَ النَّاسُ بِمَا تَحَدَّثُوا بِهِ ، لَا تَذْكُرْنِي لِي مِنْ
ذَلِكَ شَيْئًا ! فَقَالَتْ لَهَا أَمِهَا : هَوِّنِي عَلَيْكَ الشَّأْنَ ، فَوَاللَّهِ أَقَلَّمَا
كَانَتْ امْرَأَةٌ حَسَنَاءَ عِنْدَ رَجُلٍ يَحِبُّهَا لَهَا ضُرَائِرُ إِلَّا كَثُرْنَ
وَكَثُرَ النَّاسُ عَلَيْهَا . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَلَقَدْ تَحَدَّثَ
النَّاسُ بِهَذَا ، وَعَلِمَ بِهِ أَبِي ، وَعَلِمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَتْ : نَعَمْ .
فَاسْتَعْبِرْتُ وَبَكَتُ وَمَكَثْتُ لَيْلَتَانِ لَا يَرْقَأُ لَهَا دَمْعٌ ، وَلَا تَسْكُتُ حَتَّى
يَبُومَ ، وَكَانَتْ تَبْكِي وَأَبْوَاهَا يَبْكِيَانِ ، وَأَهْلُ الدَّارِ يَبْكُونَ ،
وَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَلَّمَ ثُمَّ
جَلَسَ ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ جَلَسَ عِنْدَهَا مِنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ ، وَقَدْ لَبِثَ
عَلَى ذَلِكَ شَهْرًا لَا يُوْحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِهَا

وَهَذَا يَذْكُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْهَدُ حِينَ
جَلَسَ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا
وَكَذَا ، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيَّةً فَسِيرْتُكَ اللَّهُ ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمْتَ
بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتَوْبِي ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : دَعَاها إِلَى الْإِعْتِرَافِ

في الأدب الأندلسي الشهير

ابن قزمان

للأستاذ أحمد مدينة

الشعراء الأوربيون في تأليف الأغاني الشعبية لا سيما شعراء «التروبادور»، وعلى رأسهم «الكوت ديه بواتي» البروفنسالي نشأ الشاعر في قرطبة وتوفي أوائل النصف الثاني من القرن السادس بعد أن تجاوز الثمانين سنة قضاها متقلاً، بين إشبيلية وجيـان وبلنسية

كان طويل القامة أشقر الشعر، أزرق العينين، تزوج، ثم هجر زوجه لما تقيمه فيها - وفي بنات جنسها - من السكر والخدعة :

أنا تائب يا لس تقول بزواج
ولا يجلو ولا عروس بتاج
لا رياسة غير اللهب بالزجاج
والميت برّ والطعام والشراب

النسا، كما في علمك، الهروب منهم غنيمه
لس ترى لوحد منهم ما بقيت في الدنيا قيمه
وسوى تسكن فعيني الجديد والقديمه
والبعيد والقريب والسمنه والدقيقه

عاصر من القواد يوسف بن تاشفين وابنه علي وحفيده تاشفين، ومن الأدباء ابن بسام صاحب «الذخيرة» ومن الفلاسفة ابن باجه وابن رشد

في أزجال ابن قزمان يتخلص ظل التأثير الشرقي في الأدب الأندلسي، فلا أطلال، ولا دمن ولا صحراء ولا جمال نجد لها ذكر في ديوانه، بل هو نفسه يستنكر احتذاء الأقدمين ويعمن في تمعية أزجاله من الإعراب، موجهاً لومه لأستاذه أخطأ ابن غارة لالتزامه له :

« ولما اتسع في طريق الزجل باع، وانقادت لغريبه طبايعي
وصارت الأئمة فيه حولى وأتباعي، وحصلت منه على مقدار
لم يحصله مني زجال، وقويت فيه قوة نقلها الرجال عن الرجال .
وصقيته عن العقد التي تشينه، وسهلته، حتى لان ملمسه، ورق
خشينه، وعربته من الإعراب... وجعلته قريباً بعيداً، وبلدياً
غريباً . ولقد كنت أرى الناس يلهمون بالمتقدمين ويعظمون
أولئك المتقدمين يجلونهم في السماك الأعزل وبرون لهم المرتبة
العليا والمقدار الأجل، وهم لا يعرفون الطريق، ويذرون القبلة
وعشون في التفرير والتشريق، يأتون بعمان باردة وأغراض
شاردة، وألفاظ شياطينها غمز ماردة، والإعراب وهو أقبح
ما يكون في الزجل، وأثقل من إقبال الأجل . ولم أر أسلس

العربية واللاتينية، هما اللغتان اللتان كانتا سائدتين في إسبانيا الإسلامية، وعنهما تفرعت لغتان عاميتان: اللاتينية الدارجة «الرومنسية أو المعجمية» لغة الصبيان والأحداث، وأرباب الصناعة والزوجات الإشبانيوليات، والعربية الدارجة، متأثرة بالمعجمية والبربرية :

داب نغشق لأليمه نجيمه
من يجهك ويموت فيك
إن قتلت حاد يكون بيك
لو قدر قلبي يخليك
لم يدبر ذا النعيمه
يامطر نر شلباط (يامذهول)
من حزين تن بباط (إنك مكروب)
ترى اليوم وشطاط (ضائماً)
لم تذوق فيه غير لقيمه

بهذه اللغة نظم ابن قزمان - أبو نواس الأندلسي - أزجاله، فطار صيتها إلى مشارق الأرض ومغاربها، وتأثر بها

فإن كنت قد قلت الذي قد زعمت

فلا رفمت سوطي إلى أناملي
وكيف وودي ما حييت ونصرتي

لآل رسول الله زين المحافل
وقد ذكر الزبير بن بكار أنه قيل لمائشة رضي الله عنها وقد قالت في حق حسان رضي الله عنه إنى لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبه بلسانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس هو ممن لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك ؟ قالت : لم يقل شيئاً، ولكنه القائل :

فإن كان ما قد قيل عني قلته

فلا رفمت سوطي إلى أناملي

هيب المذغال الصعبي

حين كتب عنه « البارون ده روزن » ، ثم نشره « البارون ده جوزبرج » بالتصوير الشمسي سنة ١٨٩٦ ، وضمنه وعدا بإيراد سيرة الشاعر ، وترجمة أزجاله ومقارنة لغتها بلهجات الأندلس وشمال إفريقيا ، خلال القرن السادس ، ولكن الموت أدركه سنة ١٩١٠ ، دون أن يفي بما وعد . ثم جاء بعده المستعرب الإسباني « ريبيرا » ، فألقى محاضرة عنه طُبعت سنة ١٩١٢ وفي عام ١٩٣٣ طبعه « نيكسل » في مجلة الأندلس بحروف لاتينية إلا المقدمة ، فإنها بالرسم العربي ، وعنى بذكره بعد ذلك الأستاذ بليسيا في كتابه « تاريخ الأدب العربي في أسبانيا » المطبوع سنة ١٩٢٨ وأخيراً تردد في الدوائر الأدبية أن الميسو لاوي بروفنسال شرع في التأهب لنشره

والديوان المطبوع بالتصوير الشمسي منسوخ بخط مبرق « استكتبه لنفسه الأديب محمد بن أبي بكر القطان بصفد الحروسة استحياساً له وغواية فيه »

أحمد مربية

ليسانسيه في الآداب من جامعة فاروق الأول

طبعاً وأخصب ربناً - ومن حجوا إليه طافوا به سبماً - أحق برئاسة في ذلك والإمارة ، من الشيخ أخطل بن غارة . فإنه نهج الطريق ، وطرق ، فأحسن التطريق . ولولم يكن له رحمه الله من قوة التخيل وصحة المعارضة إلا ... كقوله : أنا من أهل البادية ، وممى دارا خالية ، ملأ بدم الدالية ... وليس اللحن في الكلام العرب القصيد أو الموضح بأقبح من الإعراب في الرجل . ولو عاش ابن غارة ، وأحضرنا وإياه سلطان وضمنا قصر ، حتى يسمع الغرائب والأسمار لحار ، ولعلم أن لنا قصب السابق ولواء الغلب

سمى ديوانه « إصابة الأغراض في ذكر الأعراض » وفيه يصف أعياد المسلمين والمسيحيين ، وبفرط في ذكر محاسن الغلمان ، وامتحن السكرى والخمورين ، ومجالس الشراب ، ولا يخفى تبرمه بالصوم :

تركيب الإنسان منذ كان لطيف
وبالصيام قد صرت نحيل ضعيف
رقيق أنا يابس أصفر نحيف
يحملني البرطال (المصفور) في شأن شاله

ولا سخريته بالفقهاء :

اسمع أشقلى الفقى : توب ، إن ذا فضولى أحق !
كيف نتوب والروض ضاحك والنسيم كالملك يعبق !
فطمعن من أجل ذلك في دينه ، وكاد يقتل لولا أن لطف به أحد القضاة من أصحابه

وهو إذ ينظم الزجل ، لا يعبر فيه دائماً عن إحساسه الشخصي ، وإنما يؤلف الكلام لينشده المغنى على لسان ملك ، أو تاجر أو عبد مسترق أو امرأة . وقد يكون المغنى والمستمعون كلاهما من التسولين والشعوذيين والمحتالين ، بل مما لا غنى عنه أن يتألف منهم « الكورس » لترديد « المركز » كلما كف المنشد عن الفناء ، وقلما محتجب - في مثل هذه المحافل الشعبية - العبدان والزماير والطبول والمصافق وغيرها من آلات الطرب ، مع الاستعانة بالرقص في بعض الأحيان .

البربراه

يرجح أن الذى عثر عليه في العراق هو « روسو » قنصل فرنسا في بغداد ، ثم بيع للاسكندر الأول قيصر روسيا سنة ١٨٢٥ فضم إلى المخطوطات الشرقية في المتحف الأسيوى بسان بترسبورج (ليننجراد) وبقي منسيا فيه إلى سنة ١٨٨١

سعد زغلول من أقضيته

ألفه

عبد حسن الزيات

المحامى

كتاب قانونى أدبى فى ١٦٤ صفحة من القطع

الكبير على ورق جيد

يطلب من مكتب المؤلف رقم ١٠

شارع ابراهيم باشا - القاهرة

ومن المكتبات الشهيرة

بعد عامين . . .

لصاحب العزة عزيز أباظه بك

[كتب لي أديب جليل الخطر من أدباء الأفطار الشقيقة
يقول : « إنها حية في قلبك لا شك في ذلك . فالرأى عندي
أن تبذل لها غزلك ، وتغيب عنها رثاءك »]

يا زين عهدك بي - جعلت فيداك -

نفسٌ مُندبةٌ^(١) وطرفٌ ياك
وجوانحٌ تطوى على مُستضعف
يا زين والدينا قرارة شقوة أترك مُلئت النعيم ههناك
إن كانت استعنت عليك خطوبها

فلقد بلغت من الحياة مُنناك
خلفت نفع الورد في أرجائها ومضيت أكرم سيرة ذكراك
وذهبت ضاحكة النظارة والسببا

كالروض ساءم الربيع^(٢) البساكي
عبست لك الأيام حتى لم تجد هدفا لخاصف كيدها إلاك
ألوت بأختك بعد أن قرست^(٣) أخا

فمضت . وأعجل بعدها أخواك
نقلت رزيتهم على وإنما قد كان أفدح ما جلت أساك^(٤)
يا هجمة المين الطويل مهادها

كم صدعت^(٥) عني السكرى عيناك
يا قبلة الطلل الرقيق سرت على
خذ الشقيق^(٦) فرف^(٧) واستحياك
يا همسة الشاكي - وخير سيفارة -

بين الهوى والهجير همسة شاكي
قلبي وعقلي - قد علمت - كلاهما
لم يحل من حضر البلاد وريفها للنفس . إلا حينما تلقاك
ويروق في عيني ما استحسنته ويهون ما يزور عنه رضاك
ويهون ضاحي العمر إلا ليلة جادت على طول النوى بقلق
بقنا بهما زوجين نالا مُنية كانت تخال غريزة الإدراك

(١) كثيرة التدوب والجراح

(٢) المطر (٣) أقرست (٤) المقصود حزنها على إخوتها

(٥) دنت وقررت (٦) نوع من الزهر (٧) تألق واهتز

قالت وقلت فلو أخاص لك الدجى كرتي لشاكية هناك وشاك
عشنا على سحر^(١) النعيم ونحمره

حتى تورّدك الردى فطواك
نغدو على ورد الوفاق ونورده ونبيت لم نعقب على الأشواك
فاذا رأيت الأمر لم أرخ له

شفعت عطفك واستعنت حجاجك
وإذا اعتركنا مرة عراض الهوى
فمحي بسحر عصاه كل عراك

وإذا هفت نفسي لفير كريمة
جردت حزمك طبّة^(٢) ونهاك
فكففتها في حكمة ولباقة وبلغت بالمس الرفيق مُنناك

وإذا النفوس إلى توائها اهتدت
سعدت . وتلك مراتب الأملاك^(٣)

وإذا أهابت بي الملا شيمعني بصريعة يقظي وعزمه شاك
ودفعتني ثبّت الخطي مُستعصما بالله
مهدباً بنور هداك

جنبتي زلل الصبا وعثاره ومضى يهذب لي الحياة صباك
روثني الدنيا ببعض نعيمها فوجدت أكرمه نعيم رضاك

ولقد دخلت عليك من وثنى الصبحي
روضا تنفس فيه طيب شذاك
أسمى إلى مثواك مشبوب الهوى

وأكاد أومن أنني سأراك
وأفضت حتى جئت رفرف مضجع
طهير كركان البنية^(٤) زالك

وكأنما انجباب الرخام عن الأثرى
فأهل من خلد الرجام ضياك^(٥)
فشهدت في حلى العروس وعطرها

نفسى التي ودعت يوم نواك
تلك الصباحة والطلاوة والصبا أضفى عليهم الجلال كراك
والماء في قلمات وجهك لامح^(٦)

صاف وسحر ك ساكب وسناك

(١) الصدر (٢) الطبّة الحازمة (٣) اللاتكة

(٤) السكينة (٥) التراب أو الحجارة (٦) لامع

وحُلاك واحدة الطراز . ألمْ نصْغ

من جوهر الخلق الكريم حُلاك
فوضعت خدى حيث خدك مائل ومدامعى تروى بها خدك
وسكبت فى أذنيك ألحان الهوى وإطالما هتت لها أذنك
ونلت من عينيك سحراً لم يزل تحت التراب تشمه عينك
وجلوت فى فؤدك بدر دُجنة

وهضرت فى عطفك عود أراك
ويداى فى ذهبى شمرى ضللتا ونهته الشوق الجوى يدك
ريج مثل الشهد فوك وكالطلا

أشتار^(١) تُشهدك أم أعب طلاك ؟
وأقول فى سماء أنفاس الجوى
رَيا السُلالة تلك أم رَياك
وأقول من سلب الزهور رحيقها

وهذا إليك بصورها فسقاك
وأقول والأشجان نهك مهجتي

والقلب يصهره الأوار^(٢) الذاكى
لو قد سألت بنا فزوجك موحش
وبنوك واجمة وعشك باك
يهواك والذنيا جناح بموضه عندى إذا قرنت بطهر هواك
بالضاحك النشوان من عهد الصبا

فى الشرق المأنوس من مفناك
وبكل ضمة مُتممة وهناءه أضفى على نعيمها حيفناك
وبكل عذب اللحن من قبل الهوى
نضحت^(٣) بها شفتى المُلحجة فاك

قسما فلم تلتد غيرك أضلعي يوماً ولم بصرخ دى لسواك
فامضى كغنية الربيع ترقرت ألوانها فى نوره الضحاك
وامضى كغيرة^(٤) السماء كريمة ال

روحات والغدوات والأفلاك

أملأب الصبوات من حرَم الحى

هوج الخطوب أذن عز حاك
راش الزمان سهاً معها وأحدها فرماك ثم رماك ثم رماك
كانت رباك خائلاً وجدولاً وشمالاً^(١) . أمن الجنان رباك ؟
المسك ليلىك سحره وعبيره ورقائق الذهب الصقيل ضحاك
وتظل أرواح العشي عواطلاً من عريفها ما لم تمس شذاك
كيف الغدير السمح . ساق لجيفة^(٢)

فسقاك . والوشى البهيج كداك
هل لم تزل قبلات ضاحك مائه

تترى على صفافه المتباكي
أم بدت أمواهه وخبره عبرات نائحته وزفرة شاك
والقصر . كيف مشى الردى فى ساجه

مشى الوباء العاصف الفتاك
قد كان صرغ كل ظبي لاعب

أنس . وخيسة^(٣) كل لبت شاك
درجت طفولتنا على جنباته ونما هوانا فى راء الزاكي^(٤)
فى كل موضع نبتة من روضه ذكرى لموقف لوعة وتشاكي
لما التقينا هاج دمعك أدمى أبكاني الشجن الذى أبكاك
أبصرنى فرداً فعاودك الأسى لله أى جوى أثار أساك
عزفت عن الشدو الطيور وأجهشت

أبكائك^(٥) العبرى وجف نداك
واغبر مخضر البساط ونكست

تيجانها الزهرات فى الأشواك
ويقول مطلول البنفسج للفسدى

يا شدا ما نلقى أألت كذاك
أنسكرن أنى لم أزل من بمدها

حيًا . أنا الميت البلى هلاك
أملأب الصبوات قد جرت الرحي

فدفتك . لم ترحم سوى ذكراك

(ع . ١٠)

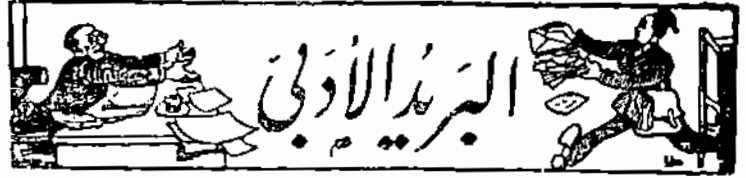
(١) الأناس (٢) النضة (٣) بيت الأسد

(٤) الطاهر (٥) جمع أبكة وهى ملتف الشجر

(١) الاشتار : جنى الشهد (٢) المنفد

(٣) بلك وسقت (٤) الشمس

إلى ما هاجر إليه « في حديث (إنما الأعمال) : « وليس في الخبر الوارد في قول القائل : « كأننا والماء... الخ ». فائدة زائدة على المبتدأ ولا هو مما يحتمل تقدير شيء من ذلك .



إلى الأستاذ محمد أحمر الغمراوي

تعجبني مداعباتك الطريفة للدكتور زكي مبارك ، وبدهشني حقاً كما يدهش الكثيرون أن يقف الدكتور - وهو الصوال المقدم - هذا الموقف السلبي الغريب بأزاء نقد أوشك أن يهدم أكبر أثر له طالما اعتز به وفاخر . وما دام قد لاذ بالصمت وأثر عافية غير محودة ، فلا مندوحة لسواه من أن يسد مسده في التعقيب على ما يستحق التعقيب عليه من هذا النقد . وقد وقعت من ذلك على نقطتين في مقالك الرابع عن « فساد الطريقة في كتاب النثر الفني »

الأولى : أنك ذكرت أن سر تفاهة البيت :

كأننا والماء من حولنا - قوم جلوس حولهم ماء
ليس في صدق هذا الكلام ومطابقته للواقع - كما زعم الدكتور في كتابه - وإنما هو في أن المشبه به في الشطر الثاني من البيت هو المشبه عينه الوارد في الشطر الأول مما أبطل التشبيه لعدم المغايرة بين طرفيه ، فأصبح البيت من ناحية التشبيه بيتاً كذباً ، ولو استبدل بحرف التشبيه حرف التوكيد لصدق البيت وارتفعت قيمته ارتفاعاً يجعله بمنجاة من أن يكون مثلاً مضروباً في السخرية والاستهزاء الخ ...

وأقول إن البيت - حتى بسد هذا التعديل المقترح - يظل تافهاً ، بل غير صحيح من ناحية اللغة ، وذلك لأنه يشترط في الخبر أن يفيد فائدة زائدة على المبتدأ ، وفي ذلك يقول ابن مالك : والخبر الجزء المتم الفائدة كالله بر والأريدي شاهده ولا معنى للخبر إن لم يكن كذلك . وما ورد فيه الخبر بلفظ المبتدأ لوحظ فيه مع ذلك فائدة زائدة على المبتدأ كما في قول القائل : أنا أبو النجم وشعري وشعري . إذ عني بقوله « شعري شعري » أن شعره الحاضر هو من جنس شعره المهود للمخاطبين من قبل . وعلى تقدير كهذا حمل قوله صلى الله عليه وسلم : « فن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته

الثانية : ذكرت ما أورده الدكتور زكي في كتاب النثر الفني نقلاً عن الباقلاني من تعريف الأخير للسجع بأنه : « ما يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع » ، وتقديره أن ما ورد في القرآن على هيئة السجع لا يدخل تحت هذا التعريف ، « لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى » . وأردفت ذلك بذكر عبارة الباقلاني التي أكد بها احتجاجه لرأيه المتقدم ، وهي :

« وفصل بين أن ينظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ : ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفادة السجع كأفاده غيره ، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى »

ثم زعمت أن هذه العبارة لا تستقيم مع رأي الباقلاني المتقدم ، وأنه لا بد أن يكون قد وقع فيها تداخل عند طبع الأصل أو عند النسخ استغناءً به المعنى على القارئ مما لم يفظن إليه الدكتور « فدل بذلك على قصوره في فحص الكلام وتقليبه أو على قصوره في الفهم والتفكير الخ ... »

والواقع أنه لا تداخل في العبارة ولا استغناء في معناها الواضح كل الوضوح ، فهي تعني أن الكلام الوارد على هيئة السجع على نوعين : أحدهما كلام منتظم في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه . فلا مناص من إيراد اللفظ الوارد على هيئة السجع ، لأنه لا بد منه لإفادة هذا المعنى ، ولا يمكن أن يحل غيره محله في إفادته ، وبصريح المعنى في هذه الحالة مرتبطاً بذلك كارتباط معاني غيره من الألفاظ التي لم ترد على هيئة السجع بهذه الألفاظ . فتكون إفادته كأفادتها ، أي أنه لا يكون مستجلباً لغرض آخر غير إفادة المعنى . النوع الثاني كلام يكون معناه منتظماً بغير اللفظ الوارد فيه على هيئة السجع ، فلا يكون هذا المعنى مرتبطاً بهذا اللفظ ، لأنه يمكن الاستعاضة عنه بلفظ آخر يفيد هذا المعنى أيضاً ، وعلى ذلك يكون الإتيان في هذه الحالة بخصوص اللفظ الوارد على هيئة السجع قد قصد به إلى

وكلمة اليوم في البيت التي وضعتها بين قوسين تدل بوضوح على أن المتنبي كان يحب ، وأنه يريد بإصرار وقوة أن يتوب من هذا الحب . فيقول . انتهى عهد الحب واليوم أصبح بين مؤنسا على لا يؤثر في سقما ولا هما

٢ - وإن قال المتنبي (حب كنى بالبيض الخ) إلا أن قوله :
عدمت فؤاداً لم تبت فيه (فضلة)

لغير الثنايا الفر والحدق النجل
بدل على أنه يريد أنت لا يكون قلبه قاصراً على حب النساء ، بل يجب أن يكون فيه (فضله) لغير حب النساء .

فظاهر من هذا أن المقام الأول هو الحب ، والفضلة لغيره
٣ - قول المتنبي (وما العشق إلا غرة وطاعة) وقوله :

(مما أضر بأهل العشق أنهم) ، وأمثاله ، لا يدل على أنه غير عاشق . بل هو أقرب إلى أن يدل على أنه عاشق برح به العشق وكوى كبده ، وذاق حلوه ومره ، ولكنه رجل غلب عليه العقل وقوة الإرادة ، فهو يريد أن يداوى نفسه من عشقه بمثل هذه الأقوال ، وكثير ممن جربوا الحب وخابوا فيه أو لم يصلوا إلى نتيجة رجعوا على أنفسهم باللوم وعلى الحب بالتقصيص

٤ - وأما الآيات التي ادعى فيها العشق ؛ فأنا أفرض مع الأستاذ أنها لا تدل على العشق ، كما يقول المتنبي نفسه (أكل فصيح قال شعراً متيم ؟) إلا أنني لا أستطيع أن أصر بأشعاره المشتملة على العاطفة الصحيحة من مثل قوله : (ما لاح برق أو ترنم طائر) إلى آخر ما ذكره الأستاذ في هذا الصدد . أقول لا أستطيع أن أصر بهذا ، دون أن أشعر بأن المتنبي كان محباً صادقاً

٥ - الحب عاطفة إنسانية أصيلة لا يحرمها إلا من مسح قلبه ، ولا يكون المتنبي - وهو من هو - كذلك ، فهذا وحده كاف للتدليل على أن المتنبي أحب ، وأنه أحسن بلواعج الوجد ، وتباريح الغرام . والآن أن أقول إن اللغز في حب المتنبي ، ليس هو الحب نفسه ، ولكن من هو الشخص الذي أحبه المتنبي . وقد أجاب عن ذلك الأستاذ محمود محمد شاكر . يبحث فيه مجال للبحث .

غرض آخر غير إفادة المعنى ، ألا وهو تجنب السكلام . والنوع الثاني هو السجع الحقيقي ، والنوع الأول - وهو وحده الوارد في القرآن على ما يرى الباقلاني - ليس بسجع حقيقي وإن جاء على هيئته

ومعنى العبارة على الوجه المتقدم هو المستقيم تماماً مع رأى الباقلاني السابق في تعريف النوعين . فالأول - وهو ما ورد على هيئة السجع وليس بسجع حقيقي - يتبع اللفظ فيه المعنى ، لأنه إنما أتى باللفظ للتعبير عن ذلك المعنى المقصود بعد التثبت من إفادته التامة له . أما الثاني - وهو السجع الحقيقي - فيتبع المعنى فيه اللفظ الذي لم يؤت به بخصوصه لإفادة المعنى وإنما لغرض آخر هو تجنب السكلام ، أفاد المعنى المقصود بتمامه أو لم يفد . ومن ثم استهجن التزام السجع لأنه إنما يكون على حساب المعنى

هذا وتستطيع بعد الإيضاح المتقدم أن تتبين بأدنى تأمل ما في عبارتك التي أوردتها تصحيحاً لعبارة الباقلاني من مناقضة حقيقة رأيه وبجانبه للصواب

وأعود فأكرر إعجابي بمجهودك الموفق في نقد كتاب النثر الفني .

إبراهيم زكي المبرور

الأستاذ بدار العلوم العليا ببغداد سابقاً

حول « الحب عند المتنبي » (١)

تساءل الأستاذ حسن الأمين : هل أحب المتنبي وهل أحسن بلواعج الغرام ؟

وأراد في جوابه أن يقول ، إنه لم يحب ، ولم يحسن بلواعج الغرام ، واستشهد بشيء من شعر المتنبي . وأريد أن أقول إن حب المتنبي بكاد يكون لغزاً مستعصياً على الحل . ولست الآن بصدد إثباته أو نفيه ، غير أنني أريد أن أستاذ الأستاذ حسن الأمين في ألا أوافقه في أن ما استشهد به من شعر المتنبي يؤدي إلى النتيجة التي وصل إليها . بل في بعض ما يدل على خلاف رأى الأستاذ . وما حكم البيان

١ - فهم الأستاذ من قول المتنبي :

تحملوا حملكم كل ناجية فكل بين على (اليوم) مؤتمن
فهم أنه (لا التهديد بالرحيل ، ولا الوعيد بالهجر استطاع أن يلين قلبه ويميل به إلى الهوى)